عظة قداس الأحد بعد الظهور
في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل وجبرائيل
في ١٣ كانون الثاني ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، ما زلنا في الأيام المباركة التي فيها نعيّد لظهور الرب الإله. وفي هذه الفترة نتأمل في معاني هذا الحدث العظيم وأعني تجسّد الإله وظهوره في العالم وللعالم. اقتضى الرب أن يصير مثلنا، أن يتّحد بنا وأن يعيش عيشة الإنسان في جميع تفاصيلها ما عدا الخطيئة. أي أن يصبح إنسانا بالفعل، أن يجوع ويعطش ويتعب ويتألم وينعس وأن يموت وأن يقبر ويدفن. فعاش كل هذه المراحل ليلملم من كل حال هو فيها تجعله أن يبتعد عن نفسه وعن خلاص نفسه وعن الله. أتى ليجمع هذا الجسد المبعثر وأتى ليجمع الناس جميعا إلى وحدة في الله لأن الناس إن تأمل كل منهم في نفسه يجد فيها كثيرا من الألم والتعب والقلق والضيق والهم.

وإذا تأمل الإنسان في العلاقات البشرية لا يجد إلا البغض والعداء والقتل والحرب وكل الشرور. الله صار إنسانا لكي يجمع هذا الإنسان المبعثر، يرجعه إلى نفسه ولكي يوحّد البشر جميعها فيه. ففي تجسد الله أي عندما صار الإله إنسانا أي عندما صار السماوي بشرا، صار الإنسان حاصلا على كل ما هو سماوي. إذا اتحد السماوي بالأرض، فهذا الترابي أصبح سماويا بالمسيح. فمبارك هو الله الذي باركنا في كل بركة روحية سماوية في المسيح يسوع.

لقد أهاننا الله. لقد صار في متناولنا أن نصبح سماويين ونستطيع أن نحصل على كل بركة سماوية، إلهية إذا اتحدنا بالمسيح يسوع. ويسوع أراد أيضا أن يوحّد الإنسان بالله. يسوع المسيح هو ابن الله، هكذا نؤمن، نؤمن بأنه رجل عظيم، بأنه نبي وأعظم من كل الأنبياء في القديم وفي الجديد. نؤمن بأنه رسول عظيم وكاهن عظيم ولكننا نؤمن بأنه هو ابن الله. هذا جوهر إيماننا. عندما ابن الله صار إنسانا واتحد به الإنسان فصار الإنسان بالمسيح ابن الله. هذا منطق، بالمسيح تبناني الله وأصبحت ابنه بالتبني. فإذاً عندما أتّحد بالله وأنت تتحد بالله فالواحد لا يختلف مع الآخر لأن السيد والرب والقائد والملهم والهادي هو الله ونحن في طاعة له. لا نعصاه ولا نتمرد عليه. لنا فكر واحد، قلب واحد، قول واحد، فنحن في اتفاق وفي انسجام. عندئذ يتّحد البشر جميعا في المسيح يسوع.

ولهذا يقول بولس الرسول في رسالة أفسس في الإصحاح الأول: تجسّد المسيح أي أكمل تدبير الله بعد أن مات ودفن، قام من بين الأموات ليقيم الإنسان الخالي من الخطيئة،

الذي أصبحت مشيئته مشيئة الله أي الإنسان الذي طهّره الله ونقّاه وصفّاه أي بعد أن أمات الإنسان كل خطيئة وكل شهوة ضارة وكل ميل يؤدي به إلى الموت. أصبح إنسانا جديدا. وُلد من جديد بالمسيح المصلوب. هذا التدبير من ولادة المسيح الرب إلى قيامته، هذا العمل الخلاصي، هو في غايته أن يجمع كل شيء في المسيح، ما في السماوات وما على الأرض، أي في تجسد المسيح.

كما شرحت، لما لملم الرب يسوع السماوات والأرض وما فيها ليصبح كل شيء مؤلّها بالمسيح المتجسد. فإذا نحن الذين اعترفنا بالمسيح، بالقلب وبالفم، بأنه هو سيدنا وآمرنا ورئيسنا وملكنا، عندما اعترفنا بهذا الأمر، ألّفنا معا جماعة اسمها الكنيسة يملؤها المسيح وطالما هي في الجهاد تنوي إلى أن يصبح هؤلاء الناس كاملين على صورة المسيح الكامل. يقول بولس الرسول بأن الذي كونه صعد إلى السماوات نزل أولا إلى أسفل الأرض، فذاك الذي نزل هو الذي صعد أيضا فوق السماوات ليملأ كل شيء وبعدئذ يقول، نزل يسوع من السماء وسبا سبيا كما تقول الآية لقد صعد إلى العلى وأعطى الناس عطايا. سبا الناس بمحبته المضحية. أخذهم إليه لأنه أحبهم أولا وبسبب هذه المحبة اختنصهم، اصطادهم وأحبوه. ولكن في هذه الجماعة التي آمنت بالمسيح وارتضت أن تطيعه نجد رسلا وأنبياء مبشرين ورعاة ومعلمين يخدمون من أجل أن يجعلوا الناس قديسين. هؤلاء يحركهم الروح القدس، روح القداسة يملؤهم كما وعد يسوع بأن يسكب الروح القدس على كل من آمن به.

هذا الروح القدس يوزّع العطايا، يوزّع المواهب، أنت معلم، أنت طبيب، أنت مهندس، أنت تاجر، أنت تعمل في الأرض، في البحر، كلّ منا، الروح القدس وأقصد الذين يسمعون المسيح بروحه القدس، كل منا يحرّكه الروح القدس إلى غاية واحدة، أن يتقدسوا بحضور الروح القدس فيهم وأن يقدسوا الناس بسيرتهم وبحياتهم وبتعليمهم للناس. فإذا كنت تاجر فتعلم أخاك الذي بجانبك الاستقامة، فلا تسرق الزبون ولا تغش، فيتعلم منك كيف تصبر على شرور الدنيا وتحيا بالفضيلة والاستقامة والنزاهة. أي يصبح المؤمن قدوة، يرون المسيح فيه فيمجدون الله.

إذن نحن الذين نؤمن بالمسيح، نعيش المسيح بحسب وصاياه وأوامره، نتصرف كما تصرّف ويريدنا أن نتصرف وأن نسلك كما سلك حتى الموت لألا يتغلب علينا الشيطان والشرير. وفي الأخير يقول بولس الرسول، يا احبة أريد أن تعلموا في رسالته إلى أهل فيليبي: أيها الأخوة إن أموري قد آلت أكثر إلى تقدّم الإنجيل. حياة بولس في الآلام والاضطهادات، في المصاعب والشدائد وهو يبشر بالإنجيل. كل هذه الأمور أدت إلى تقدم البشارة حتى إن القيود التي قيدوني فيها ووضعوني في السجن صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع.

المتألم من أجل المسيح يضيء كالشمس وبسبب قيودي، أصبح الأخـــوة قـــادرين أن يتكلموا يكلمة الله، بكل جرأة بدون خوف لأنني كما يقول بولس أشجعهم أنا وأنا في الســـجن أسبح الله وأشكره على حالتي التي أنا فيها لأنها برهان بأني أخصّ المسيح ولا أخصّ العـــالم الشرير. ويقول في هذه الرسالة يا أحبة إذ يتوجه إلى الأخوة، إن كان لكم وعض فليكن فـــي المسيح، إن كانت لكم تسلية فلتكن مرضية للمسيح، إن كان هناك محبة فلتكن نابعة من حبكم للمسيح. تمموا فرحي حتى تفتكروا فكرا واحدا ولكم محبة واحدة بنفس واحدة مفتكرين شـــيئا واحدا. المؤمنون في الكنيسة ولو كانوا متنوعين المواهب ولكنهم واحد في الإيمان والمحبـــة والرجاء.

ساعدنا الله أن نكون أمينين لبركته أو بركاته السماوية التي منحنا إياهـــا وجعلنـــا أن نظهر المسيح في حياتنا كلها وحيثما كنا. آمين.